



## مذكرات تحسين قذري 1894-1986 المرافق العسكري الأقدم للملك فيصل الأول

4

# إيقاف زحف الروس على أبواب أرضروم وشن هجوم مضاد



### تقديم وتحقيق: أ.د. سيار جميل

كندا

#### تقديم

هذه هي مذكرات الأستاذ تحسين قذري (1894 - 1986) المرافق العسكري الأقدم للملك فيصل الأول منذ التحاقه في عمليات الثورة العربية الكبرى عام 1916، و مرافقته له في الحكومة الفيصلية في سوريا، وبقائه تحت ظله على امتداد عهد فيصل في العراق ووصوله إلى رئاسة دائرة التشريعات في البلاط الملكي العراقي واستمرار وجوده مرافقاً وأمينا وسفيراً دبلوماسياً للعراق على عهد الملك غازي الأول 1933 - 1939م، وعهد الوصاية 1953 - 1958م وعهد ابنه الملك فيصل الثاني 1953 - 1958م وبقي يعيش في سويسرا حتى رحيله في شهر آب / اغسطس عام 1986، وهو من أصل سوري، ولكنه تربى ودرس في العراق وشاهد تاريخ العهد الملكي في العراق بطوله، فهو ذاكرة تاريخية لحياته الطويلة في القرن العشرين.



الأمير فيصل في فراسيا

قائدا لمقر الفرقة، لكن كل هذا لم يشغلني عن الاهتمام بمصير البلاد العربية، وحين أعلنت الحرب العالمية الأولى، كان القائد العام للجيش الرابع المرابط في الشام هو زكي باشا، الحلبي الأصل وهو رجل ذو خبرة وحسن. وتطلب إعلان الحرب والتغير العام تجديد كل قادر على حمل السلاح، مما جمع خيرة شباب المناطق العربية في دمشق، من خلال تجديدهم كضباط احتياط وساعد هذا التجمع على نقل بؤرة الوعي القومي ومرکز جمعية العربية الفتاة إلى دمشق.

**جمال باشا السفايح:** شجّع اعتدال زكي باشا على التعاون مع الأتراك، لدرجة أن جمعية العربية الفتاة أصدرت إعلاناً عن غيابة العرب في الاستقلال، ولكن ليس عداوة بالاتراك، وأكد الإعلان بان العرب سوف يقفون مع الأتراك لدفع خطر الاستعمار الأوربي المحتل من خلال الحرب العالمية، ولكن بقاء زكي باشا لم يدم طويلاً، فقد عين مقلداً للجيش التركي لدى غلبوم الثاني إمبراطور ألمانيا، فغادر الشام في 5 ديسمبر 1914م، ووصل في نفس اليوم خلفه جمال باشا الذي عرف فيما بعد بجمال باشا السفايح، حيث بدأت مرحلة صعبة من التفحيش والمخابرة والاضطهاد والشنق، وتغيرت نظرة أحرار العرب للعلاقة مع الأتراك.

معاملة الأخوات، وبقينا عندنا في البيت لمدة ثلاث سنوات، وبعدها حين دخولنا دمشق مع جيش فيصل بن الحسين، حضر بعض أقاربها واستلموها منا، لقد أنجز التنكيل بالأرمن في عواطفنا، مما دفعني لإنقاذ ما يزيد على خمسة ستر عورتهم، وماكلون حفنة من الشعير المحروق لسد جوعهم، أما أنا فقد عانيت معاناة لا تنسى، فقد أصيبت بمرض التيفوس، وافقدتني الحمى الشعور أربعين يوماً قبل أن تحف حدثها، ولم أتمكن معها على الخروج من إسبيل الخيل بصفة حقوقي لكي يستعمل من فخري باشا عن وضع الأرمن، وقد احتضن فخري باشا الحقوقي فالح رفقي، وكان هو واعوانه يجيبون على النهم المتلصق من المذابح التي ارتكبها فخري باشا بحق الأرمن، واخفى هذا الشخص عن عيني إلى سنة 1931 أو 1933 م، وهو ما ساتناوله لاحقاً.

**إعدام الأحرار العرب في بلاد الشام:** فشلت حملة القتل قناتة السويس مما سبب نقل مركز قيادة الجيش الرابع إلى فلسطين في مدينة القدس والناصرة، بعدها بدأ جمال باشا حملات الإبادة، والشنق بامر مباشر منه، وبدون مصداقية اسطنبول، ففي 21 أغسطس 1915م شنق مجموعة رأس أخوته السبعة محاصراً في أورفه من كل جانب، ودافع وقاوم لأكثر من خمسة أيام، ثم حوصروا في الكنيسة، وبعد قذف الكنيسة بالمدايع، استسلمت المدينة، وقتل بدي فرداشعر، وكان عنده امرأة جميلة، وجاءت تتوسل عند فخري باشا لئلا يقتلها، وهدمت له جميع ممتلكاتها من الذهب، والتي تساوي حوالي الألف من الجنيهات الذهبية. وكان هنالك الكثير من الأسرى من الشباب وأيدوا بالسلاح الأبيض.. أما النساء فحشدوا في معسكرات بصورة تقشعر منها النفوس، ورأيت بعيني هذه المأساة، واذكر الكثيرين من الآباء والأمهات الذين كانوا يرجونني لأخلص لهم أطفالهم، وقد نجحت في تخليص طفلتين، واحدة منهما كانت ابنة ديشجي بدروس، والأخرى كانت إحدى أقاربها، وجلبتهما معي إلى دمشق عند شفيعتي عصمت، وقد عاملتهما

عائلة الأخوات، وبقينا عندنا في البيت لمدة ثلاث سنوات، وبعدها حين دخولنا دمشق مع جيش فيصل بن الحسين، حضر بعض أقاربها واستلموها منا، لقد أنجز التنكيل بالأرمن في عواطفنا، مما دفعني لإنقاذ ما يزيد على خمسة ستر عورتهم، وماكلون حفنة من الشعير المحروق لسد جوعهم، أما أنا فقد عانيت معاناة لا تنسى، فقد أصيبت بمرض التيفوس، وافقدتني الحمى الشعور أربعين يوماً قبل أن تحف حدثها، ولم أتمكن معها على الخروج من إسبيل الخيل بصفة حقوقي لكي يستعمل من فخري باشا عن وضع الأرمن، وقد احتضن فخري باشا الحقوقي فالح رفقي، وكان هو واعوانه يجيبون على النهم المتلصق من المذابح التي ارتكبها فخري باشا بحق الأرمن، واخفى هذا الشخص عن عيني إلى سنة 1931 أو 1933 م، وهو ما ساتناوله لاحقاً.

**إعدام الأحرار العرب في بلاد الشام:** فشلت حملة القتل قناتة السويس مما سبب نقل مركز قيادة الجيش الرابع إلى فلسطين في مدينة القدس والناصرة، بعدها بدأ جمال باشا حملات الإبادة، والشنق بامر مباشر منه، وبدون مصداقية اسطنبول، ففي 21 أغسطس 1915م شنق مجموعة رأس أخوته السبعة محاصراً في أورفه من كل جانب، ودافع وقاوم لأكثر من خمسة أيام، ثم حوصروا في الكنيسة، وبعد قذف الكنيسة بالمدايع، استسلمت المدينة، وقتل بدي فرداشعر، وكان عنده امرأة جميلة، وجاءت تتوسل عند فخري باشا لئلا يقتلها، وهدمت له جميع ممتلكاتها من الذهب، والتي تساوي حوالي الألف من الجنيهات الذهبية. وكان هنالك الكثير من الأسرى من الشباب وأيدوا بالسلاح الأبيض.. أما النساء فحشدوا في معسكرات بصورة تقشعر منها النفوس، ورأيت بعيني هذه المأساة، واذكر الكثيرين من الآباء والأمهات الذين كانوا يرجونني لأخلص لهم أطفالهم، وقد نجحت في تخليص طفلتين، واحدة منهما كانت ابنة ديشجي بدروس، والأخرى كانت إحدى أقاربها، وجلبتهما معي إلى دمشق عند شفيعتي عصمت، وقد عاملتهما

المطوقة، فانصاع الدليل، ووصلنا إلى قيادة الرتل الطوق قبيل منتصف الليل، ووجدناهم في حالة سيئة، وفي خوف من الدمار، وكان استلامهم لآمر الانسحاب الذي حملته لهم قد انقذهم من الإبادة المحتومة. بعدها رجعت إلى قيادة الفرقة، وأعطاني قائد الفيلق ميدالية حربية للشجاعة من كفاة لي.

**أوقف زحف الروس على أبواب أرضروم، وتمركزنا في قرية جاسورلي واتخذناها مقراً مؤقتاً للفرقة، وحضر أنور باشا وخليل باشا لتفقد قوات الجبهة، ثم أعطيت الأوامر للزحف والهجوم المضاد على الجبهة الروسية، وكان الجيش العاشر يشغل جناح اليسار، أما في جناح اليمين فكانت قطاعات الشاشان المهددة، حيث أن الاتصال المباشر كان مقطوعاً، والقوات الروسية منتشرة بين القيادة وبينهم، ولم يتطوع لهذه المهمة إلا أنا؛ أخذت الأوامر بالتفحيش والانسحاب، وانطلقت ومعني الجندي رفعت الذي كان بإمرتي، وصادفنا قروي من الأرمن، ادعى أنه يعرف مداخل هذه المنطقة جيداً، فطلبتم منه أن يبدلنا على قطعنا توافق، فإذا هو يقودنا إلى قرية من المواقع الروسية، فأنهال علينا وابل من الرصاص، حينها انفضحت النوايا السيئة لدليلنا، فاشهرت عليه المسدس وهددته بالقتل، إذا لم يوصلنا إلى قطعنا**

مراقفي أحد الجنود من مناطق أرضروم وأسمه رفعت. بدأ الروس هجومهم على أرضروم في أوائل فصل الشتاء، وكانوا مرابطين في واحة أسمها حسن قلعة، في سهل ياسين الذي يمر فيه نهر أراس في بلاد الأرمن، وكان الأتراك يحسبون حساب للتحقق بالجنين الروسي، كانت فرقنا النظامية الثانية مدرية ومسلحة تسليحاً جيداً، ولذلك فقد احتلت موقعاً إستراتيجياً في بداية القتال، وأعطى أمر الجبهة خليل باشا والقائد العام أوامرهم بإيقاف الهجوم، والتمركز في مواقعنا، وتلا ذلك وصول طلائع قوات القوزاق المشهورين بشجاعتهم وفروسيتهم، وسرعان ما أحاطوا بنا ذات اليمين وذات اليسار، فصدرت الأوامر لنا بشن الهجوم المضاد عصباً وبالسلاح الأبيض، وحسب تعليمات الفرقة الروسية الحربية، قام أمر اللواء بإشهار سيفه أمام قطاعات اللواء إيذاناً ببداية الهجوم، وكنت بجانبه، وجريت اللبث، وبدأ الهجوم بكلمة الله الله الله، وفوجئت بأمر اللواء يقرب مني ينهرني، ويطلب مني الإبطاء والبقاء معه في الخطوط الخلفية وراء الجنود، وعندما تكررت بالتعليمات المكتوبة، قال لي أن ما يطلبه موجود في التعليمات، ولكنها تعليمات سرية. لم ألتفت لهذه التفسيرات، وبقيت مع الجنود في الخطوط الأمامية، وغنمت سيقاً من القوزاق احتفظت به في دار شفيعتي الأكبر زكي فيما بعد تذكراً لأول معاركي في الميدان.

توقفنا في وقف الهجوم الروسي السريع، ورجعنا إلى مراكزنا في مقر قيادة الفرقة، وحينها كان موقف الجناح اليساري في غاية الصعوبة، حيث أن القوات الروسية كانت تكمل تطويقها له، وتهدد بالإبادة التامة، وبناء على خطورة الموقف فقد طلب قائد الفرقة متطوعين فداثنين من بين الضباط للتوجه إلى المواقع المهدة، حيث أن الاتصال المباشر كان مقطوعاً، والقوات الروسية منتشرة بين القيادة وبينهم، ولم يتطوع لهذه المهمة إلا أنا؛ أخذت الأوامر بالتفحيش والانسحاب، وانطلقت ومعني الجندي رفعت الذي كان بإمرتي، وصادفنا قروي من الأرمن، ادعى أنه يعرف مداخل هذه المنطقة جيداً، فطلبتم منه أن يبدلنا على قطعنا توافق، فإذا هو يقودنا إلى قرية من المواقع الروسية، فأنهال علينا وابل من الرصاص، حينها انفضحت النوايا السيئة لدليلنا، فاشهرت عليه المسدس وهددته بالقتل، إذا لم يوصلنا إلى قطعنا

نجدت في مادة الفروسية بدرجة 'ممتاز'، أما في مادة الفنون الحربية فأحرزت المرتبة الأولى على ما يزيد على الألف طالب، وكوفئت على ذلك بإعطائي إجازة أسبوعية ليوم إضاعة للعمل المعتادة، ونجحت بتفوق في الامتحان التأهيلي الذي بموجبه أُنح مرتبة ضابط وكلي، وبعد الترتيب العملي لفترة ستة شهور يصبح طالب المدرسة العسكرية ضابطاً. وما أن وصلت دفعتنا إلى هذه المرحلة وحين تخرجنا، حتى اندلعت شراره الحرب العالمية الأولى، واقتضى الميدان أن أذهب إلى جبهة القتال في جبهة الأوامر للزحف والهجوم مضاداً على الجبهة الروسية، وكان الجيش العاشر يشغل جناح اليسار، أما في جناح اليمين فكانت قطاعات الشاشان والمتطوعين الأتراك، بقيادة محمد باشا الداغستاني القائد الأعلى

كثرت الصراعات والتحالفات السياسية بين الدول الأوربية في مطلع القرن العشرين، ثم تبلورت سياسة الصراع في تلك الفترة، وفي هذه الأثناء سقطت البلوج، وبلغ ارتفاعها أكثر من مترين، مما سبب الكثير من الصعوبات في النقل ومعسكرين، فهناك فرنسا وروسيا وحلفائهما من ألمانيا وبلجيكا، وحينها من ناحية أخرى، ونظرًا لحسدة الصراعات وقرب الدول المتصارعة، لم يكن في وسع الدولة العثمانية المحافظة على موقف الحياد لفترة طويلة، وما لبثت فيه أن من أهم العوامل التي دفعت بالدولة العثمانية للتتحالف مع ألمانيا، وخوفها من مطامع روسيا في التوسع جنوباً والسيطرة على مصر الدردنيل. وقد تجلت هذه القضية أكثر من ثلاثة شهور في إعلاء التدريبات والدروس في فنون الفروسية والحركات القتالية، ونتيجة لتجاعي وإخلاصي في التعليم عيّنت مرافقاً لأمر اللواء، وهكذا تخلصت من مضايقات ضباط الأيلي، و اخترت حصاناً قريباً، وكان

إلى المعسكر الألماني بسرعة أو بسهولة، فقد أصابها الوهن بعد خسائر حرب البلقان، وكانت تريد استعادة قواها، وكان لفرنسا أصدقاء ذوي نفوذ في اسطنبول، ومنهم جمال باشا الذي سافر إلى باريس قبيل اندلاع الحرب، واجتمع بوزير الخارجية الفرنسي، طالباً منه المساعدة في إعادة البناء، وضمان كيان الدولة العثمانية، مقابل خروجها من الحياد وانضمامها إلى المعسكر الفرنسي، ولكن إجابة وزير الخارجية الفرنسي على جمال باشا كانت بان عليه التشاور مع الروس، وهم كمن هو معروف خصوم تركيا التقليديين قبل إعطائه الرد، وكان هذا الموقف من أهم العوامل التي أدت إلى معاهدة سرية بين تركيا والمانيا في 2 أغسطس 1914م، ومن ثم دخول تركيا الحرب في منتصف نوفمبر عام



عدن من الشخصيات السياسية العراقية بينهم تحسين قذري